## الانتقائية: نفي الشرائع!

وأهبت لريعخ كموخ!

هكذا علمونا منذ قرروا ان يعلمونا الاقرار بانهم اكثر انسانية منا. وتعني هذه الوصية التناخية ان "أحِبّ لصديقك كما تحب لنفسك".

انه لكلام طيب وأيم الحق!

" كلام جميل وكلام معقول" يرضي ليلى مراد وحمورابي على السواء، كما انه يرضيني شخصيا والله.

مع ذلك يظل مكان للاسف، فهذا الدرس الانساني مفخخ تفخيخا لا مهرب منه، ليس على مستوى النص الحرفي، بل على مستوى التفاصيل.

تحت كلمة "ريعخ" او صديقك، هذه، تكمن قنبلة اللفظة الموقوتة، لان السلطة التي قررت تعليمنا الانسانية لم تشأ مواجهة ذاتها بالدخول الفوري في التفاصيل، كأن تتوقف عند كلمة "صديقك" لتقدم تعريفا ملزما وشاملا واستمراريا لهذه الكلمة.

اليوم، وبعد اطنان من الممارسة، يستطيع المرء ادراك التفاصيل عبر الدروس الخصوصية مدفوعة الثمن عدا ونقدا من اعصابنا ولحمنا ودمنا.

ويضعنا هذا الادراك ازاء حالة عبثية محبطة تماما، اذ يتضح لنا ان وصايا الدهور العشر او الاكثر او الاقل "لا يهم" ينبغي ان تكون مرفقة بملاحق ومعاجم واستطرادات ايضاحية الزامية والا فسيظل منتصبا امامنا سؤال ليس كالاسئلة: لا تقتل .. من؟ لا تسرق .. ماذا؟ لا تشهد بالزور .. في اية محكمة؟ وضد من؟ ومع من؟ وهكذا الى اخر القائمة بحيث تصبح الانتقائية هي القانون الى ان تنتفي الشرائع.

وحتى لا نؤخذ بالغيبة فلا بد لنا من مثال، وليكن مثالنا طازجا مشهودا وملموسا غير قابل للدحض، قبل ايام كنت عائدا الى منزلي من مكان ما في البلاد، وكان علي ان اصطحب طريق عكا-صفد، ومقابل محطة الباص قرب مفرق البعنة-دير الاسد وقفت سيارة جيب "امنية" وراح عدد من افراد الشرطة يتفحصون شعارا على جدار المحطة.. وكان الشعار مكونا من ثلاثة احرف م. ت. ف.

لا غرابة في الامر، فمن الطبيعي ان تهتم الشرطة بالشعارات الامنية، وقد بلغ اهتمامها حدا جعلها تقتحم منزلي قبل حين بحثا عن شعارات معادية للدولة فعثرت على ولدي الاصغر ياسر.

"ليس!".

إنما غرابة الغرائب ان سيارات الجيب "الامنية" لم تكلف نفسها مشقة الاهتمام بعشرات الشعارات العنصرية السافلة التي تلوث جدران البلاد من اقصاها الى اقصاها: ترانسفير.. العرب بره.. استفتاء فورا.. كهانا .. ترانسفير .. وما شابه.

ويعني الحد الادنى من الاهتمام ان تعمل الشرطة والسلطات المحلية على تنظيف هذه القاذورات والقاء القبض على ابطال المراحيض، هؤلاء الذين لا يكفون عن استفزازنا في عقر دارنا ودار ابينا وجدنا اليوم وغدا والى دهر الداهرين ..آمين.

أما لماذا نسميهم ابطال المراحيض، فذلك لانهم كانوا يكتفون بكتابة شعاراتهم القذرة على جدران المراحيض العمومية في محطات النقل والمطاعم والفنادق .. اما اليوم فقد افعمتهم حمى الهجرة الجماعية والاستيطان الجماعي والاحتلال الجماعي بقدر كاف لخروجهم من مراحيضهم الى جدران البلاد كلها.

يعتقلون الشعراء والمغنين ويصادرون الكتب حين تكون الانتفاضة مي الموضوع وحين يكون العدل هو المحور وحين يكون السلام هو الجوهر. اما دعاة الترحيل والقتل والهدم والسلب فيتمتعون بالحصانة البرلمانية ويرتعون في نعيم الديمقراطية!!

"وأهبت لريعخ كموخ" درس تعلمناه ايام زمان لاقناعنا بالتفوق الانساني لدى ما تمثله هذه السلطة من قيم ومفاهيم.

ولاننا طلاب نجباء حقا فقد حفظنا هذا الدرس، غير اننا لم نقتنع. لا لم نقتنع. ذلك ان وقائع الواقع اكثر قدرة على الاقناع، واكثر مصداقية من كل الحبر والورق والكلام.

وهذه الانتقائية التعيسة التي تتحكم بالرأي العام الاسرائيلي بصورة خطيرة من شأنها ان تنفي الشرائع الى حين، غير انها عاجزة قطعا عن نفيها الى الابد، فعبر التراكم التاريخي لا بد للإنسانية من ان تكون قد اكتسبت قدرا كافيا من المناعة يحول اليوم دون انتشار العدوى الهمجية من مرحلة ما قبل الحرب العالمية الثانية والاخيرة ان شاء الله.

«عبير» تموز ١٩٩٠